مقولة حكم القيمة، يمكن التصريح بحق بأن فدوى روح موجوعة معتلة بأصالة القلق البشري. ولهذا يرى قارىء شعرها أن مضمون القصيدة لديها هو الاحتجاج على ما يعترض استتباب الحرية، وأن كل موضعة للذات الشاعرة إن هو إلا محاولة للكشف عن نقص الذات وحاجتها إلى الاكتمال بالآخر، بالحيوي، وبكل ما هو حار وأصيل.

إن فدوى روح مرهقة يبتلعها شرطها ويغمرها، وكل ما تسعى إليه هو التعبير عن هويتها بوصفها حالة الاختناق المرضة التي تعيشها المرأة الشرقية بعامة، والتي تعيشها برهاوة الحساسية وفورة الوجدان، بوجه خاص. فهي تتحسس شرطها الوجودي والمعاشي كما لو كانت موقوفة داخل محجر كبير وضيق في الحين نفسه، ولذا فإنها تسعى جاهدة نحو تعدي حدود هذا المحجر فتصطدم بجدرانه السميكة. وهذا ما يرصف روحها إلى جوار الشاعر العربي التراثي ويوحدها وإيّاها في هوية واحدة.

وربما كانت قصيدة: «تاريخ كلمة»، وهي من مجموعتها «أمام الباب المغلق»، خلاصة لتجربة فدوى العاطفية المحبطة والمنقوصة. ولدى قراءة هذه القصيدة نشعر أننا نعود عوداً على بدء، إلى المسألة النفسية للشاعرة، الأمر الذي يعني وجع فدوى المتجذر في أعماقها بوصفه بنية راسخة لم يغادرها ولم يفارقها في المرحلة الثانية من انتاجها الشعري. هي ذي خلاصة العلة:

كم يغتني الانسان حين يلتقي هناك من يحبّه، كم يغتني!
ولم يكن هناك من يحبني.

هذا كل ما في الأمر. لم يكن هناك من يحبها. بيد أن ثمة صدمة رضيَّة تتجادل وغياب الحب. ولنستمع إلى ما تقوله الشاعرة في القصيدة عينها:

وعاد من غربته أخي الكبير، عاد
ابراهيم، كان قلبه الرحيم، خيّراً كبير
وفيض حبه غزير.
ولفني أخي وضمني إلى جناحيه
هنا استقيت الحب وارتويت،
هنا استردَّتْ ذاتي التي تحطمت بأيدي الآخرين بناءها.
هنا اكتشفت من أنا،
عرفت من أكون.

والعبارة اللافتة للانتباه، في هذا المساق، هي هذه: «هنا استقيت الحب وارتويت»، إذ انقطاع هذا المصدر العاطفي السامي الروحاني الأصيل سوف يترك رُضَّاً كبيراً تتوتر به النفس طويلاً، بل ربما مدى الحياة. إذن، فلنتابع القراءة:

ومات من أحبني،
مات أخي الذي أحبني،
ولم يكن هناك من أحبني سواه.